بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٥٥٧٤

۸۷/۱۰/۱۲۹۶
۸۷/۱۰/۱۶

دانشگاه تربیت معلم سبزوار
دانشکده ادبیات و علوم انسانی
گروه زبان و ادبیات عربی

پایان نامه ی کارشناسی ارشد رشته زبان و ادبیات عربی

موضوع:

الإتجاه الفـــكري لتوفيق الحكيم في المســـرح الذهني

استاد راهنما:

دکتر حسین شمس آبادی

استاد مشاور:

دکتر صاحبعلی اکبری

۱۳۸۷/۱۰/۱ - ۵

نگارش:

علیرضا جلیلی زرندی

شهریور ۱۳۸٤

۱۰۵۰۷٤

أقـــدّم مزيداً من الشكر و الامتنان لجميع الأساتذة في قسم اللغة العربية الذين كثرما يبـــذلون جهداً مشكوراً من أجل الرقي بالمستوى العلمي و الأدبي للطلّاب و أقدّم شكراً خاصّاً للدكتور أكبري و الدكتور شمس آبادي الذَين تفضّلا عليّ بارشاداتهما في سبيل القيـــام بإعـــداد هـــذه الأطروحة.

الإهـــداء

إلى من غمرنى طوال حياتي باللطف و الحنان

إلى أمّـــي

چکیده

در اوایل دهۀ سی از قرن بیستم ادبیات نمایشی در جهان عرب در تاریخ نه چندان طولانی خود شاهد ظهور ادیب و نویسنده ای برجسته و توانا به نام توفیق الحکیم بود. آثار منثوری که او با عنوان نمایشنامه های ذهنی یا فکری وارد حوزۀ نمایش نمود ظهور جریانی نو و تحول گرا را در روند نمایشنامه نویسی آن روزگار نوید می داد. چرا که این بخش از آثار حکیم در کنار ساختار ادبی محکم خود حاوی مضامین بلند فکری با محوریت انسان نیز بود. او با آمیختن روح شرقی خود با آموزه های تراژدیهای یونان باستان، و نیز با نگاه جهان شمول خود به انسان که او را موجودی فراتر از مرزهای نژادی، مذهبی و جغرافیایی به تصویر می کشید، تفسیری حکیمانه از موقعیت او در جهان به دیگران ارائه داد.

با تجزیه و تحلیل این بخش از آثار او می توان دریافت که او با وارد نمودن عنصر تفکر و اندیشه در آثار نمایشی، مخاطب خود را که تا آن روز شیفتۀ بخش مفرّح و سرگرم کننده و گاهی مبتذل هنر ارزندۀ نمایش بود به وادی تفکّر و تعمّق جهت درک مفاهیم ارزشمند فکری و معنوی سوق داد. او همچنین هویتی مستقل به نمایشنامه های منثور بخشید و آنها را از سیطرۀ شعر و الفاظ عامیانه و عبارات بی محتوا رها ساخت و موجبات ورود آثار مکتوب نمایشی را به حوزۀ ادبیات فراهم نمود.

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

المقدمة..... ١

البـــاب الأول

الفصـــل الأول : توفيق الحكيم..... ٤_١٧

عصـــره

١_١_١_ السياسي..... ٥

١_١_٢_ الاجتماعي..... ٦

١_١_٣_ لثقافي..... ٧

١_١_٤_ الأدبي..... ٨

سيـــرته

١_١_٥_ مولده و نشأته..... ١٠

١_١_٦_ دراسته في القاهرة..... ١١

١_١_٧_ رحلته إلى فرنسا..... ١٢

١_١_٨_ بعد العودة إلى مصر..... ١٣

أعمـــالـــه

١_١_٩_ المسرحيات..... ١٥

١_١_١٠_ القصص و الروايات..... ١٦

١_١_١١_ الكتب الأخرى..... ١٦

الفصـــل الثـــانـــي : المسرح العربي..... ١٨_٣١

١_٢_١_ الحياة المسرحية في الوطن العربي..... ١٩

١_٢_٢_ الحياة المسرحية في مصر..... ٢٣

الفصـــل الثـــالث : توفيق الحكيم و المسرح..... ٣٢_٤٨

١_٣_١_ الحكيم و القوالب الأدبية..... ٣٣

١_٣_٢_ الحكيم و المسرح العربي..... ٣٥

١_٣_٣_ الحكيم و القالب المسرحي..... ٣٦

١_٣_٤_ الحكيم و اللغه الثالثة للمسرح..... ٣٨

١_٣_٥_ المراحل التي مرّت بمسرحياته..... ٤٠

البـــــاب الثـــانـــي

الفصـــل الأول : المدخل إلى المسرح الذهني ٤٩-٦٣

٢ـ١ـ١ـ توفيق الحكيم فنّاناً ٥٠

٢ـ١ـ٢ـ توفيق الحكيم مفكّراً ٥٣

٢ـ١ـ٣ـ توفيق الحكيم و الأدب الأوروبي ٥٥

٢ـ١ـ٤ـ توفيق الحكيم و المذاهب المسرحية ٥٧

الفصـــل الثـــانـــي : مرحلة المسرحيات الذهنية ٦٤-٨٣

٢ـ٢ـ١ـ ما هو المسرح الذهني؟ ٦٥

٢ـ٢ـ٢ـ المؤثرات في تكوينه ٧١

٢ـ٢ـ٣ـ المعالم البارزة فيه ٧٦

الفصـــل الثـــالث : المحاور الفكرية في المسرح الذهني ٨٤-١٠٩

٢ـ٣ـ١ـ الصراع بين الحقيقة و الواقع : أوديب ٨٥

٢ـ٣ـ٢ـ الصراع بين العقل و القلب : شهرزاد ٩١

٢ـ٣ـ٣ـ الصراع بين السيف و القانون : السلطان الحائر ٩٧

٢ـ٣ـ٤ـ الصراع بين الفن و الحياة : بيجماليون ١٠٣

الفصـــل الرابـــع : الدراسة الشاملة لمسرحية "أهل الكهف" ١١٠ـ١٣١

٢ـ٤ـ١ـ مستويات القراءة ١١٢

٢ـ٤ـ٢ـ الصراع في المسرحية ١٢٣

٢ـ٤ـ٣ـ الشخصيات في المسرحية ١٢٣

٢ـ٤ـ٤ـ الحوار في المسرحية ١٢٥

٢ـ٤ـ٥ـ قيمة المسرحية ١٢٩

خاتمة البحث : ماذا قدّم الحكيم للمسرح؟ ١٣٢ـ١٣٥

خلاصه ى پايان نامه به فارسى ١٣٦

المصـــادر و المـــراجع ١٥٤

المقـــدمـــة

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاةُ و السلامُ على محمّدٍ و آله الطيبين الطاهرين الذين بنورهم اهتدينا و بعلومهم رشَدنا و لولا سفينتُهم لغرقنا ... ثمّ الصلاة و السلام على جميع العلماء الأطهار الذين بذلوا الغالي و النفيس من أجل وعي الأمة و الحفاظ على أصالتها.

أما بعدُ فإنّ المسرحية فنّ أدبي يدخل ضمن فنون الشعر و النثر معاً و هي أداة للتعبير عن صـــورة من صور الحياة تعبيراً واضحاً بواسطة ممثّلين يؤدون أدوارهم و يثيرون اهتمام الجمهور ليسمعوا ما يقال و ليشهدوا ما يجري. فإذن هي فن يقوم على قصة تبعث الحركة و على شخصـــيات تخلـــق الحـــوار. قد نشأت المسرحية في الأدب الإغريقي القديم نشأة دينية قائمة على الشعر و هـــي لم تـــتخلص مـــن سيطرته إلا في العصور المتأخّرة.

و هنا لابدّ من التنبيه على وجوه الافتراق بين المصطلحين: "المسرحية" و "المسرح". فإنّ المصطلح الأول يتناول النص المسرحي بصفته نصّاً قابلاً للتمثيل، و الثاني يتناول النص المسرحي معروضـــاً علـــى الخشبة للجمهور، مستخدماً تقنيات المسرح و شروطه من الممثلين و الأزياء و الـــديكور و الإخـــراج و الموسيقا و ... و كلامنا في هذا المجال ليس له شأن بالثاني.

قد خضعت المسرحية منذ ظهور روافدها في العالم العربي لنشاط فريد من قبل عباقرة هـــذا الفـــن خاصة المصريين منهم الذين كانوا قد ركّزوا جهودهم على ترقية هذا الفن الحديث في أدب بلدهم. أما المسرح النثري الذي هو لايزال حديث العهد في البلاد العربية فقد شهد في أعوام قليلـــة مضـــت مـــن ظهوره، خطوات عظيمة تقصد الارتفاع به إلى مرحلة النضج و الكمال. و قد اقترنت الخطوة الأولـــى منها باسم الكاتب المسرحي "توفيق الحكيم" الذي أرغم النقاد بنتاجه المسرحي على أن يعترفوا بريادته في هذا المجال.

إنّ المسرح رغم كونه من الفنون الأدبية قد اختفى في معظمه عن عيون الطلاب و الدارســـين في الجامعات الإيرانية و لم يحظ منهم بالدراسة حق دراسته، و ربما هو يعود إلى عدم معرفتهم الشاملة لهـــذا الفن الحديث الذي لم يلق استحساناً مثلما لقيته الفنون القديمة في كتب الأدب.

و هذا هو الحال بالنسبة إلى توفيق الحكيم و هو من النجوم اللامعة في الأدب العـــربي خاصـــة إذا نراجع مسرحيات كتبها بعد عودته من أوروبا، المسرحيات التي كانت تختلف تماماً عن نظائرها في مصر آنذاك، مما أدّى إلى عدم إقبال جماهيري معتاد على أعماله في بادئ الأمر إلا ما لقي من قِبَل فئة قليلـــة من المثقفين. و هذه المسرحيات التي تحمل إلى جانبه الأدبي طاقةً فكرية خاصّة أضافت تياراً جديداً إلى المسرح و هي تتمثل في ما يسميه النقّاد بـــ"المسرح الذهني" الذي أثار ضجّة كبرى في الأوساط الأدبية و اشتهر به الحكيم.

و المسرح الذهني هو أيضاً من أكثر جوانب الحكيم خفاءً على دارسي اللغة العربية في إيـــران، إذ لم يُعكَف عليه حتى الآن بالبحث و الدراسة الشاملة. و هذا كلّه ما دفعَني في هذا السطور إلى إلقـــاء الضوء، و لو كانَ خفيفاً، على هذا الجانب الهام من مسرحياته و على ما كان الحكيم يهدف إليه مـــن ورائها، و أيضاً إيضاحُ الخط الفكري الذي اتّبعه الحكيم في أعماله الذهنية و أخيراً تجسيدُه فيها.

و هنا أضيف إلى الأقوال السابقة مزيّة يحملها الحكيم نفسه، و هي يرجع إلى أنه من أكثر كتّاب العرب حرصاً على الكشف عن خفيّات ضميره و فنه، مما يساعد القارئ و الباحث على فهم أعماله المسرحية و يشجّعه على المتابعة.

أما المنهج الذي اتّبعته فهو المنهج التحليلي خاصة في دراسة النصوص إلاأني لم أترك المنهج التاريخي خاصة في بيان تطوّر المسرحية العربية في مصر و الوطن العربي.

ينقسم الكلام عن مسرح الحكيم إلى بابين، و يتألّف الباب الأول من ثلاثة فصول. إنّ الفصل الأول اختصّ بما يلزم الاطلاع عليه من عصر الحكيم و شخصيته، و هو ليس مجرد سرد تاريخ بل يجد القارئ المتأمل فيه ما يساعده على فهم يسير لما سيأتي في الفصول القادمة. في الفصل الثالث قمتُ بدراسة تاريخية للمسرح العربي و المصري و راجعتُ صفحات من تاريخهما، و تكلّمتُ عن الأشخاص و الفرق المسرحية و عما كان سائداً عليها في مصر آنذاك من الاتجاهات و النزعات.

و تكلّمت في الفصل الثالث الذي يحمل عنوان "مسرح توفيق الحكيم" عن القوالب الفنية في أدبه و أشرتُ إلى قضايا شغلت اهتمامه في مجال المسرح عامةً، متحدّثاً عن المراحل التي مرّت بمسرحه بالإجمال إلا أني تركتُ مرحلة المسرحية الذهنية إلى موضعها في الباب الثاني كي أدرسها دراسة شاملة.

أما الباب الثاني الذي يتضمن القسم الرئيسي من كلامي عن المسرح الذهني فهو يتألف من أربعة فصول. و لما كان فهم كل عمل فني بحاجة إلى معرفة شيء ما عن فكرة خالقه و فنه فخصّصتُ الفصل الأول بالأمر هذا، و درستُ أيضاً موقف الحكيم من الأدب الغربي و المذاهب المسرحية فيه، مشيراً إلى تأثيرات تركتها هذه المذاهب في مسرح الحكيم.

و توقّفتُ في الفصل الثاني عند مضمون المسرح الذهني و قمتُ بتبيين ماهيته و أشرتُ إلى المؤثرات في تكوينه و إلى السمات العامة فيه. و في الفصل الثالث حلّلتُ أربع مسرحيات من أعماله الذهنية مثالاً على هذه المرحلة و تطبيقاً لفكرته الذهنية.

و الفصل الأخير جعلته و بسطته مختصّاً بمسرحية "أهل الكهف" و تحليلها باعتبارها أول مسرحية ذهنية للحكيم و التي حظيت بالاستحسان و الترحيب من قبل النقاد و المثقفين الذين رأوها في مستوىً عال من الفكر و الفن.

و خصّصتُ الكلام بعد الفصل الأخير بما يمكن استنباطه من السطور السابقة، إذ جمعتُ في هذا القسم أهم انتصارات فاز بها مسرح الحكيم و بالتالي الأدب العربي بفضله.

هذا أهمّ ما يمكنني التعبير عنه في المقدمة تاركاً إيّاها لتفصيل القول في الفصول القادمة و راجياً أن يجد فيها القارئ المتأمل ما يشجّعه على المتابعة و الإضافة. إن شاء الله.

البـــاب الأول

الفصـــل الأوّل

توفيق الحكيم

عصـــره

السياسي

الاجتماعي

الأدبي

الثقافي

سيـــرته

مولده و نشأته

دراسته في القاهرة

رحلته إلى فرنسا

بعد العودة إلى مصر

أعمـــاله الفكرية و الأدبية

المسرحيات

القصص و الروايات

الكتب الأخرى

١ـ١ـ١ـعصره السياسي

كانت مصر في العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين تعاني ويلات الاحتلال الإنجليزي لها و لهذا شهدت خلال تلك الأعوام الثورات و الجهود السياسية للخلاص من نير الاستعمار.

و المصري حينما خاب أمله في مساعدة الأجانب له (كتركيا و فرنسا) للحصول على الاستقلال، و حين لم ير نفعاً وراء القوى الأجنبية، انصرف إلى نفسه و قوّته. و هذا ما يشير إليه "لطفي السيد" و هو من زعماء حركة التحرير في مصر قائلاً " ... و نحن في هذا لم نلحظ أنه إذا كانت تركيا و فرنسا لم تعملا شيئاً لاستقلالنا فإنّ إنجلترا التي ما احتلّت بلادنا إلا لمصلحتها الشخصيةفهي للعمل لمصلحتنا أبعد كثيراً من تركيا و فرنسا ... فعلى من يكون اعتمادنا في بلوغ الاستقلال؟ على أنفسنا، على أعمالنا، على تضامننا ..."[١]

كان هناك تياران مختلفان للوصول إلى النهضة الوطنية بينما يرى الأوّل أن النهضة الوطنية لا تتمّ إلا عن طريق الدين أو بمساعدته، يرى التيار الثاني أنها لا يتحقق إلا بالقومية المصرية و لا بوحدة الدين أو ما شابه ذلك من الروابط التقليدية.

كانت هذه الدعوة الأخيرة صدى للاتجاه العالمي نحو فكرة القومية في القرن التاسع عشر و كان الكتاب و الشعراء و الصحف و الدعاة يغذون فكرة القومية الجديدة التي تستند إلى ما غرسته الثورة الفرنسية في النفوس من التعاليم الديمقراطية و ما نشرته من الدعوة إلى الحرية التي أيقظت الشعور القومي و روح التمرّد في الشعوب.[٢] و يعتقد أتباع هذا التيار بأنّ "المقصد الأكبر أو مقصد المقاصد للأمة المصرية هو الاستقلال ... و أدنى مراتب الاستقلال الاختصاص بالحقوق الوطنية في مسطح من الأرض محدود بحدود جغرافية معينة ..."[٣]

و كانت ثورة ١٩١٩ من أهم مظاهر النزعة القومية في تأسيس دولة حديثة في مصر التي انتهت بالاستقلال و الحياة البرلمانية و استقرار الأمور قليلاً قليلاً. و لكن أحمد فؤاد (١٩١٧- ١٩٣٦ م) لم يكن يرضيه أن ينال الشعب حريته و أن ينعم بالإصلاح، فحارب الوطنية المصرية و سلط بعض الأحزاب على بعض و جدّ يمكر بالأحرار.[٤]

---

١. تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الرابع من القرن العشرين، حليمي مرزوق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣١١.
٢. تاريخ الأدب العربي الحديث، محمد كاظم حاج إبراهيمي، جامعة إصفهان، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ١٦.
٣. تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث، حليمي مرزوق، ص ٣١٥.
٤. قصة الأدب في مصر، محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، المجلد الثالث، ص ١٢٧.

فيستنبط مما مضى أنّ الثورة المصرية كانت سياسية تستهدف تحقيق الحرية و مبادئ الديمقراطية أكثر مما كانت اجتماعية. و عنصر الحرية أو الليبرالية من الأركان الرئيسية في النهضة القومية و هو مبدأ ذووجهين متصلين أولهما فردي بحت و الآخر سياسي خالص.

أما السياسي فيجمع أطرافه مبدأ "عدم تدخّل الحكومة في شؤون الأفراد" و هذه الفكرة تصادف استحساناً في نفس الشعوب، لأنه رابح لا محالة فزمام السلطة في يد غيره. و من جهة المستعمر فالفكرة لاتزعجه في كثير لأنها من بضاعته و مجلوباته و لايعنيه من البلد إلا الاستغلال و شؤون الاقتصاد، ذلك أن الحرية السياسية كفيلة الحرية الشخصية، و بهذا استطاع زعماء الثورة المصرية أن يتزوّدوا في حملتهم على الاستعمار بنفس المبادئ التي يعتقدها الغرب.[1]

١_١_٢_ الاجتماعي

إمتدّ أثر الاحتلال الإنجليزي من شؤون السياسة و الإدارة و الاقتصاد إلى الناحية الاجتماعية و ظهرت آثارها أشدّ ظهور في مجال الدين و المجتمع الريفي. كما أنّ المرأة التي ساهمت في ثورة ١٩١٩ طالبت مزيداً من الحريات للمشاركة في أمور المجتمع و للحصول على منزلة معترفة بها في المجتمع. و قد وضع النقاد و الكتّاب هذه الوجوه الثلاثة موضع اهتمامهم لمديد من الزمن و دفعت أقلامهم للبحث عن أسباب التأخر و سبل التقدّم في هذه المجالات.

أما ما كان يخافه المستعمرون فهو الشعور الديني الإسلامي في مصر، لأن الإسلام دين يدعو إلى العزة و الكرامة و يأبى على المسلم أن يخضع لسواه و أن يضلّ. و لذلك ركّز المستعمرون جهودهم على إضعاف هذه الروح في نفوس الشباب و سعوا في إخماد هذا الشعور القوي فيهم، بأن الدين هو المسؤول الأول عن التأخر و هو السبب الوحيد لجمود أصيب به المجتمع المصري. و دعوا الجيل الجديد إلى التحرّر من كل القيود التي تحدّد العلاقات بين مختلف شؤون المجتمع و إلى الانقياد التام للقيم الأوروبية. و همّ بذلك نشروا بذور الاختلاف بين الحاضر و الماضي و استطاعوا أن يغروا الجيل الجديد بزخارف الحضارة الغربية و أن يشيعوا الفساد بينهم.[2]

و بالطبع لم يكن المجتمع الريفي بمأمن من أزمة التأخر التي أصيب بها المجتمع المصري عامة. و كان النقص في التعليم و الصحة و الاضطهاد الذي يعانيه الفلاحون من قِبَل الملاكين، من الظواهر العامة في الريف المصري.

---

١. تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث، حليمي مرزوق، ص ٣١٦-٣١٧.

٢. توفيق الحكيم أفكاره، آثاره، أحمد عبدالرحيم مصطفى، المطبعة النموذجية، القاهرة. بدون تاريخ. ص ٨٨_٨٩.

و إنّ انقضاء عهد الإقطاع لم يكن ذا تأثير إيجابي في تغيير الأوضاع، فالمالك الغني أو الفلاح الثري الذي حلّ في الأرض محلّ السيد الإقطاعي و قد ورث منه طباعه و قلّده في عاداته و أهوائه.[1]

و قد صوّر توفيق الحكيم في كتابه "يوميات نائب في الأرياف" الحياة في الريف المصري تصويراً صادقاً و حافظاً للواقع و وصف لنا الفقر و المرض و اليأس و الناس و في إطار روائي واضح.

قد شهدت مصر في تلك الأعوام حركة نسائية نادى بها من قَبل المصلح الاجتماعي "قاسم أمين"، إذ دعا أبناء وطنه إلى وجوب تعليم الفتاة، و تخفيف الحجاب أو رفعه، و تنظيم الزواج و الطلاق، و منح المرأة حقوقها الاجتماعية و حريتها الطبيعية مستنداً في كل ذلك إلى النصوص القرآنية و النبويّة محاولاً تفسيرها بما يلائم روح العصر.[2]

فقامت المرأة متطلبة حقوقها الضائعة من قِبل المجتمع و محاولةً الخروج من سجنها الذي صنعته التقاليد لها. و هي في محاولتها هذه واجهت ردود فعل مختلفة مابين موافقٍ يُشيد بها و مخالفٍ يرى فيها محاكاة للغرب وحدها.

١_١_٣_ الثقافي

كانت النهضة القومية ترافقها النهضة الثقافية و الفكرية لتدلّ على عزم المصريين لتأسيس مجتمع ثقافي إضافة إلى استقلاله السياسي. و كان أول مظاهرها إنشاء الجامعة المصرية (١٩٠٨) بعد أن دعا إليها مصطفى كامل أكثر من مرّة، حتى تُخرج الجامعةُ الأمة من سباتها و تبثّ فيها الحياة، فتستطيع مغالبة الغاصب. بدأت الجامعة أعمالها بإرسال البعوث العلمية إلى أوروبا لإعداد هيئة التدريس و دعت بعض الأساتذة من جامعات أوروبا لإلقاء محاضرات على الطلاب في التاريخ، و الآداب العربية، و الفلسفة و الاقتصاد من أمثال "الكونت دي جلارزا"، "جويدي الكبير" و "نللينو".[3]

و قد انتشرت الصحف اليومية و المجلات الأسبوعية تبعاً لازدياد القرّاء عدداً و لرقي الأمة وعياً، حتى بلغ عدد الصحف اليومية بمصر في سنة ١٩٥٠ اثنتين و عشرين صحيفة، و بلغ عدد المجلات الأسبوعية ٢٠٣ مجلات. ومن المجلات التي كان لها أثر في الأدب و في إفادته فائدة جليلة سواء بالنقد أو بنشر الشعر و الجيد من النثر في شتى الموضوعات هي "الهلال" و "المقتطف" ثم "السياسة الأسبوعية" و "البلاغ الأسبوعي" و "الرسالة" للزيّات و "الثقافة" لأحمد أمين.[4]

---

١. المؤلفات الكاملة لتوفيق الحكيم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، المجلد الأول، ص ٧٤٩ .

٢. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٥.

٣. في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، المجلّد الثاني، ص ١٧٦.

٤. المصدر نفسه، ص ١٧٩.

إضافة إلى ذلك نشطت حركة الترجمة و ساعدت في نشر الأفكار الأوروبية الحديثة و تقريرها في الأذهان مما تقوّت بها سواعد رجال الإصلاح. و هذه الترجمات بما احتوت من المضامين الاجتماعيـــة و الثقافية الجديدة فتحت أبواب العالم الحديث على الفكر العربي و مهّد له الطريق للوصول إلى مســـتوى عال من الثقافة العالمية.[1]

و في القرن العشرين ازدهرت العلوم و الآداب بعد انتشار الثقافات و كثرة المدارس والجامعات و بعد إصلاح الأزهر و نظام التعليم فيه، فازدادت العناية بنشر الكتب القديمة في شتى العلوم و الفنـــون و الآداب كما زادت العناية بالتأليف و بجودته.[2]

١ـ١ـ٤ـ الأدبـــي

قد أثّرت الحرب العالمية الأولى في الأدب المصري إلى حدّ كبير، فظهرت الثورة على القديم و ظهر الأدب المكشوف و كثر النقد و الأدب القومي أو السياسي الذي يعبّر عن نزعة الشـــعب الوطنيـــة و القومية تعبيراً فيه نصيب من الصدق، وكذلك ظهر الأدب العلمي و بدأ بعض الكتّاب يـــدعون إلـــى العامية و آخرون يمزجون بين العربية و العامية في أسلوبهم.[3] و كثر الاقتباس من معاني الأدب الأوروبي و أغراضه و مذاهبه و ذلك لكثرة الترجمة في هذا العصر. و اشتهر من بين الأدبـــاء الـــذين زادوا الأدب العربي بكثير من آراء المفكرين و الأدباء الغربيين لاسيما الإنجليزيين: الأســـتاذ العقـــاد الـــذي تـــرجم لـــ"توماس هاردي" أكثر من قطعة و دافع عن مذهبه في الشعر و تشاؤمه و تـــرجم د.طـــه حســـين لـــ"بودلير" و غيره و نشر هذه التراجم في كتابه "من حديث الشعر و النثر". كما أنّ مجلة "السياســـة" الأسبوعية كانت تُعنى بالأدب الفرنسي عناية فائقة، و كانت تسير نحو التجديد بخطىً وثّابة.[4]

كان لاحتكاك بين الأدب الغربي و التراث العربي أثره في النشاط بين المحافل و الأوساط الأدبية مما أدّى إلى ظهور الاتجاهات المختلفة في مجالي الشعر والنثر. منها رفضت كل ما جاءت باسم الحـــديث و نهجت نهج القديم في الأسلوب و القالب الأدبي و منها أصبحت مغرماً بالأدب الغربي و أساليبها لحديثة في التفكير و القالب الفني، و الأخرى حاولت الأخذ بالأساليب الغربية محافظاً بالروح الشرقية و التراث العربي. و لكن خلاصة الاتجاهات المختلفة في الأسلوب و الخلق في النثر الحديث تتمثّل بصفة خاصّة في ثلاثة أشخاص و هم طه حسين و عباس العقّاد و توفيق الحكيم.

---

١. قصة الأدب في مصر، محمد عبدالمنعم خفاجي، المجلّد الرابع، ص ١١.
٢. المصدر نفسه، ص ٢٠.
٣. المصدر نفسه، ص ٢١.
٤. في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، المجلد الثاني، ص ٦٥.

طه حسين هو الذي أدخل النقد في الأدب العربي الحديث و أثبته على أصوله الغربية. أما العقّـاد فهو ناظم و ناثر معاً و هو قد نجح إلى حد كبير في التوفيق بين القديم و الحديث سواء في شعره و نثره. و إذا كان طه حسين قد ارتقى بالأدب التصويري كما يتّضح واضحاً في كتابيه "الأيام" و "الأديـب"، فإن العقاد قد أدخل إلى الأدب العربي الأسلوب التحليلي كما هو واضح في كتابه "سارة".[1]

و توفيق الحكيم هو المجدد الأسلوب الفني في الأدب العربي الحديث و أنه أدخل في الفـن قوالـب أخرى مثل اليوميات و الاعترافات و الرسائل و القصة الطويلة وكلها ألوان لم يعرفها الأدب العربي من قبل على هذا الوضع الفني الذي عرضه.[2]

أما في الشعر فقد سبق خليل مطران العقاد و المازني و شكري في توجيه الشعر المصري إلى جهة جديدة، و إن كان قد حاول في فترات أن يجمع بين القديم و الجديد و لا سيما في الأغـراض و هـو لم يكن ثائراً ثورة هؤلاء.[3]

---

١. توفيق الحكيم أفكاره، آثاره، أحمد عبدالرحيم مصطفى، ص ٢٥.

٢. المصدر نفسه، ص٢٧.

٣. في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، المجلد الثاني، ص ٢٧٢.

١_١_٥_ مـــولده و نشأتـــه

ولد توفيق الحكيم بالإسكندرية عام ١٨٩٨و اسمه بالكامل حسين توفيق الحكيم. نشـــأ في أســـرة تتكوّن من أب مصري من سلالة فلاحين مصريين على شيء من الثراء و من أم تركية ذات طبع صارم و كبرياء.[١]

يتحدّث الحكيم عن مولده فيقول: "لم يرني والدي يوم وُلدت...كان متغيباً في عمله بعيداً في بلدة صغيرة من بلاد الريف...كان وقتئذٍ وكيلاً لنيابة مركز "السنطة" تـــرك والـــدتي لتلـــدني في بلـــدها "الإسكندرية" حيث تتوفّر لها العناية الصحيحة...و هناك ...في هذا الثغر، و في حيّ "محرم بك" مـــترل أختها الكبرى هبطت إلى الدنيا..."[٢]

بدأ توفيق الحكيم حياته التعليميّة في الكتاتيب المختلفة وفقاً لظروف عمل والده إلى أن استقر بـــه المقام قاضياً في مدينة "دسوق" فالتحق بمدرستها الكبرى الوحيدة و هـــي مدرســـة الجمعيـــة الخيريـــة الإسلاميّة. و كان لتنقّل والده المتكرّر بين بلدان الأقاليم سبب في عدم الانتظام في سلك مدرسة واحدة سنة دراسية كاملة. كما يقول نفسه: "لقد مسح والدي خريطة القطـــر المصـــري مسحاً في الأعـــوام القلائل ...و لم يستقر بي الحال إلا يوم استقرّ والـــدي قاضياً بالقاهرة فالتحقت بالسنة الأولى بمدرسة محمد علي الابتدائية بالسيدة زينب."[٣]

و لكن لم تدم هذه الفترة طويلاً فرجع إلى دمنهور بنقل والده إليها و هنا بدأ عهد قراءته الحقيقية و استغراقه في القصص على نطاق واسع. "لم يكن والدي يدرك أنّ لكل سنّ قراءتها ...كان يعـــاملني، كأغلب آباء تلك العهود،كما لو كنت في مثل سنّه ...كان يفرض عليّ ما يحبه هو و ما يقـــدره مـــن مطالعات ... فكان أهون ما وضع في يدي من كتب وقتئذ هو كتاب "إميل القرن العشـــرين" ترجمـــة أحد زملائه في القضاء ..."[٤]

و حينما نقل إلى السنة الثانية من الثانوية أرسله والده إلى القاهرة باقتراح من أعمامه ليواصل فيها عاميّ الدراسي المقبلين، لأهمّيتهما.

---

١. المؤلفات الكاملة لتوفيق الحكيم، المجلد الأول، قسم المؤلف.
٢. المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٦٢٧.
٣. المصدر نفسه، ص ٦٤٤.
٤. المصدر نفسه، ص ٦٤٨.

١_١_٦_ دراسته بالقاهـــرة

هنا تبدأ مرحلة جديدة في حياة توفيق الحكيم تؤثّر في اتّجاهه نحو المسرح.

تابع توفيق الحكيم دراسته الثانوية و التحق بمدرسة الحقوق و قضـــى أوقـــاته في مشاهـــدة المسرحيات و قراءتها و مارس هواية التمثيل و جرّب الكتابة للمسرح من خلال قراءتـــه فـــي الأدب الأوروبي. يصف توفيق الحكيم حياته في القاهرة في هذه المرحلة بقوله: "لم يخطـــر على بال أهلـــي و لاشك أنّهم قذفوا بي إلى الحرية الواسعة و إلى الجوالفنّي الرحب يوم قذفوا بي إلى القـــاهرة ... حقـــاً لم أضع قدمي قط في دار سينما برّاً بقسمي و لكني اتّجهت إلى المسرح بـــكل مايحمله وقتي و جيبي."[١]

ظلّ الحكيم شديد الإعجاب بجورج أبيض حين شاهد عروضه المسرحية التي كانت أقرب إلـــى الثقافة الجادة بحكم دراسته جديّة في فرنسا، فكان يحفظ صفحات بأكملها من "عطيل" و"أوديـــب" و"لوئيس الحادي عشر" يلقيها مع بعض الهواة من زملائه في أوقات الفراغ، و دفعته تلك الهواية إلـــى ممارسة اللعب بالتمثيل و الإلقاء.[٢] و هو لم يزل يتردّد على الحفلات التمثيلية التي تقيمها الفرق التمثيلية في القاهرة مما كان له أكبر الأثر في نضج احساسه الفني.

لقد شهدت هذه المرحلة بداية عمله الفني حين كتب أول مســـرحية لـــه ســـنة ١٩١٩عنوانهـــا "الضيف الثقيل" و كان في هذه الفترة في الخامسة عشرة من عمره و في السنة النهائية مـــن القســـم الأول من التعليم الثانوي. و قد خاض الحكيم في هذه السن تجربة الحبّ فكان لها أكبر الأثر في حياته.[٣]

قامت ثورة ١٩١٩و أثّرت في توفيق الحكيم، إذ حوّلت الثورة حبّه من فتاته إلى حب آخر لبلده و زعيمها سعد زغلول، فتابع الحكيم الثورة و اتّجه إلى تأليف الأناشيد الوطنية الحماسية و كان يلحّنـــها بنفسه أحياناً. ثمّ اعتقل الحكيم و عمّاه بتهمة التآمر و لكن أفرجت السلطات العسكرية عنه و عن عمّيه و المعتقلين الآخرين بعد الإفراج عن سعد زغلول الذي كان معتقلاً بجبل الطارق.[٤] و بعد حصوله على إجازة البكالوريا المصرية، في سنة١٩٢١التحق بكلية الحقوق مجيباً لرغبة والده الذي كان يودّ أن يـــراه قاضياً كبيراً أو محامياً شهيراً .

في هذه الفترة أظهر اهتماماً بالفن المسرحي ــ و قد ساعده في هذا إجادته اللغة الفرنسية ــ و نقل إلى اللغة العربية كوميديا و قام بتمصيرها من مسرحية فرنسية و سمّاها "العريس" و قد مثّلتهـــا فرقـــة "عكاشة" على حديقة الأزبكية كما قدّم إلى هذه الفرقة مسرحية أخرى باسم "خـــاتم ســـليمان". و

---

١. المصدر السابق، ص ٦٥٤.
٢. المصدر نفسه، ص ٦٥٥.
٣. المصدر نفسه، المجلد الأول، قسم المؤلف.
٤. المصدر نفسه، قسم المؤلف.

قدكتب الحكيم أوّل مسرحية من تأليفه و هي مسرحية "المرأة الجديدة" و في مقدّمتها يشير إلى الصراع الذي كان مقدّراً له أن ينتقل عبر مجراه المسرحي كله، إلى الرواية في قالب الفكاهة.[1]

و هو لم يكد يتخلّص من تقديم المرأة الجديدة لفرقة عكاشة حتى شرع في كتابة مسرحية غنائية هي "علي بابا" التي قام بتلحينها "زكريا أحمد" كما عهد بنظم أغانيها إلى "بديع خيري".[2] و بهذا دخل توفيق عالم المسرح اللاهي و عرف حقيقته و أعجبته أنواره و هو مؤلّف الناشيء الحريص على أن يلمع اسمه و يرتفع نجمه راغباً في أن يرى أعماله تظهرعلى المسارح. و لم يكن العمل المسرحي و المشتغل به آنذاك محترماً لدى الناس مما دفعه إلى حذف اسم أسرته من إعلانات مسرحيتَي "العريس" و "خاتم سليمان ".

و لم يكن من السهل على الحكيم إقناع والده بالاشتغال بالأدب بعد تخرّجه من مدرسة الحقوق عام ١٩٢٥. فكان لابد للإديب من البحث عن وظيفة يعيش من خلالها حتى يتمكّن من تحمّل كارثة الأدب، فقرّر والده على إرساله إلى باريس لنيل شهادة الدكتوراه ليبعده عن الوسط الفنّي الذي أخذ يسيطر على كل اهتماماته.[3]

١_١_٧_ رحلته إلى فرنسا

و هكذا غادر الحكيم القاهرة متجهاً إلى فرنسا و هناك أحسّ بحريّته في إشباع نهمه الفنّي، فأخذ ينتقل من مكان إلى مكان و من فندق إلى منزل يزور المسارح و المتاحف و يقرأ القصص و الروايات و المسرحيات من الأدب الفرنسي و العالمي و يدخل الأوساط الثقافية و الفنية في عاصمة الفن والحضارة باريس و يتأمّل حياة الأوروبيين و حضارتهم من خلال قراءته و مشاهدته، و درس المسرح اليوناني القديم و قام بقراءة المسرحيات اليونانية، تراجيدية كانت أو كوميدية التي قام بكتابتها الشعراء المسرحيون اليونانييون. كما اطّلع على الأساطير و الملاحم اليونانية العظيمة و استفاد من كل ذلك في تكوين شخصيته الفنية الأدبية. و لّما قوي اتصاله بالآداب العالمية تفتحت عيناه على حقيقة كانت خافية عليه و ربما على كثير من المصريين أمثاله في ذلك الوقت هي أنّ ما كان قرأه في مصر و ما يقدّمه المشتغلون في المسرح و ما يترجمه المترجمون من الرواية و القصة بعيد في معظم أحوالها عن الأدب الرفيع، و من هنا بدأ الحكيم مرحلة جديدة في بناء ثقافته و تكوين شخصيّته.

---

١. المصدر السابق، قسم المؤلف.

٢. المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٦٧٥.

٣. توفيق الحكيم سيرته و أعماله، أحمد سيد محمّد، الصدر لخدمات الطباعة، قاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٢٢.

فبعد أن قضى ثلاث سنوات و بضعة أشهر في فـــرنسا طلب منه والداه الرجوع حينمـــا لم يـــرا نجاحاً أو تقدّماً فيما أرسل من أجله إلى فرنسا، فعاد إلى مصـــر كما يقول: "و عُدتُ إلى بـــلادي ... عدت بالحقيبة ذاتها التي كنت قد حملتها معي، ما عدا شيئاً واحداً لم أعد به ... و هـــو مـــا ذهبـــت للحصول عليه: الدكتوراه في القانون ..."[1] و هو يبرّر هذا الفشل بقوله: "فإنّ بطء الفهـــم عنـــدي و واعيتي الضعيفة، بالإضافة إلى أعباء الجهاد الثقافي الشامل الـــذي ألقيت بنفسي كلها في لجته مع الفهم الفكري الذي استولى عليّ أمام موائد الحضارة الكبرى،كل هذا لم يترك لمثلي القوّة و لا القدرة علـــى حمل عبء آخر".[2]

لكنّه عاد إلى وطنه بما هو أنفع لمصر و الأمّة العربية في سبيل الترقية لهذا الفن حتى يسايـــر نهضـــة المسرح العالمي. في أثناء إقامته في فرنسا و في أوائل عام ١٩٢٧ بدأ يكتب روايتـــه "عودة الروح" باللغة الفرنسية وأعاد كتابتها بالعربية بعد عودته إلى مصر. كمـــا كان شغفـــه بالموسيقي ــ نتيجة تـــردّده على المسارح و دار الأوبرا ــ سبباً لأن يعلق قلبه بعاملة في شبـــاك التـــذاكر في مســـرح "الأديـــون" بباريس و التي أوحت إليه بفكرة مسرحيته "أمام شباك التذاكر".[3]

و هكذا استقى الحكيم من مشارب الحضارة الأوروبية إذ أثّرت في تعميق أحاسيـــسه و تربيـــة فكره و معاملته مع المرأة و نظرته إلى الحياة في الشرق و الغرب و إبداعه الفنّي.

١ــ١ــ٨ــ بعد العـــودة إلـــى مصـــر

سار الحكيم في خطّين متوازيين بعد عودته من فرنسا و هما القيام بوظيفته والكتابة الأدبية.

عمل الحكيم وكيلاً للنائب العام بالمحاكم المختلطة بالإسكندرية لمدة عـــامين (١٩٢٧-١٩٢٩) و اتخذ من أحد المقاهي بضاحية الرمل مكاناً لنفسه يتابع فيه تأملاته و كتاباته. و في هذه المكـــان كتـــب وقائع مسرحيته "أهل الكهف" التي صدرت عام ١٩٣٣ و أحدثت ضجة أدبيّة كبرى و اشتهر معهـــا توفيق الحكيم. في سنة ١٩٢٩ التحق بسلك القضاء المصري في وظيفة وكيل للنائب العام في الأرياف و خلال عمله بالمحاكم الأهلية قوي اتصالُه بالمجتمع المصري و قضاياه و في مدينة طنطا كتب يومياته عـــن حياته كوكيل للنائب العام التي صدرت عام ١٩٣٧ حاملةً اسم "يوميات نائب في الأرياف".[4]

---

١. المؤلفات الكاملة لتوفيق الحكيم، المجلد الثالث، ص ٦٨٩.

٢. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٣. توفيق الحكيم سيرته و أعماله، أحمد سيد محمّد، ص ٢٣ــ٢٤.

٤. المصدر نفسه، ص٢٤.